إيقاع المعنى الصوتي الداخلي في السور السبع

طالبة الماجستير أمل حميد الخالدي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة فردوسي مشهد –إيران

minnododyy@gmail.com

الدكتور حسين ناظري

أستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة فردوسي مشهد-إيران

Nazeri@um.ac.ir

الدكتور رضا عرب البافراني

استاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الرضوية للعلوم

الإسلامية-إيران

arabbafrani.135@gmail.om

Phonological Suggestion in The Long Seven Verses

Amel Hameed Al-Khalidi
MSc student, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Letters and Humanities, Ferdowsi University of Mashhad-Iran
Dr. Hussein Nazeri
Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Letters and Humanities, Ferdowsi University of Mashhad-Iran
Dr. Ridha Arab Al-Bafrani
Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Letters and Humanities, Razavi University for Islamic Sciences of Mashhad-Iran

الملخّص :

إن غايـة هـذه الدراسـةُ هـي إبـراز الجانـب الإيحـائي للأصـوات الـذي يعـدّ من أهـم الجوانـب الدلالية في دراسة علـم اللسـانيات الحديثة، وأحد الطرق الموصلة إلى سبر أغـوار سر جمالية الحـرف القرآني ورَنَمه، الذي تتّضح فيه أجلى صور الإيحاء الصـوتي، ممّـا يعكس البعـد الـداخلي والخـارجي للكلمة، عن طريق دراسة وتحليل حروفها، ورصـد أصـدائها الموسـيقية وإيقاعاتهـا النغميـة وإظهـار دورهـا في تمثيـل المعـاني المناطة بهـا وترقيم ورسـم الصـورة الفكريـة والروحيـة الإيحائيـة لهـا، معلّـلاً بـذلك جزءاً من جاذبية وجمالية إشعاع الصوت اللغـوي القرآنـي في السـور السـبع الطـوال. وقـد اعتمـدنا في هـذا البحـث على المـنهج الوصـفي – التحليلي متتبعين بذلك الدّلالة الإيحائية في دراسة أصـوات الكلمـات القرآنيـة المنتخبـة، وبـالنظر إلى مكونّات الحرف اللغوي يتّضح لنا أهميّة الجانب الإيحـائي للصـوت، لأنـه جـوهر الإفعـام العـاطفي والإدراك الفكري، ونتاج تمازج تلك المكونات التي تحيـل ظلّـال هـذه الأحـرف الصـوتية السـاحرة إلى الخلود.

الكلمات الدليلية: الإيحاء؛ الإيقاع؛ الصوت؛ الحرف؛ السبع الطوال.

Abstract:

The content of this study is to highlight the animistic side of the sounds, which is one of the most important semantic aspects. In the study of modern linguistics, it is one of the methods leading to exploring the mystery of the beauty of the Quranic letters and its rhyme, which are the most vivid images of the inspirational sound. Thus .it reflects the internal and external dimension of the word by studying and analyzing its letters and monitoring its musical echoes , and its fluctuations in tone and showing its role in representing the meanings entrusted to it. Similarly , it contributes to depict the conceptual and spiritual picture illustrating in this way the charm and beauty of the resilient linguistic sound in the seven long verses . We have relied in this research on the analytical descriptive methodology by tracing animist in the sound of the chosen vocabulary, and by looking at the components of The linguistic letter shows us the importance of the animistic aspect of the phoneme, as it is the essence of emotional expressions and intellectual contraction, and the product of mixing the coloration of the components that dissolve in the mold of these phonemic letters lead them in to eternity.

Keywords: inspiration , Rhythm, sound, the long seven verses .

المقدّمة:

إن المتأمّل والمتصفّح للتاريخ اللغوي عند العرب منذ بواكيره الأوّلى حتّى نزول القرآن الكريم يجد أنّهم حملوا على عاتقهم دراسة كلّ ما يمتُ بصلة للأصوات ومخارجها وتقنينها، التي تعد اللبنة الأوّلى لعلم الأصوات (phonetics)، وزاد الاهتمام بهذا العلم بعد ارتباطه بالقرآن الكريم في تجويده وتلاوته، ولما كان القرآن بحراً لا نفاذ لمداده وسراجًا لا يخمد ضياؤه، فهو سندان البلاغة ومطرقة الإعجاز فقد أعجز جهابذة الفصاحة والبيان، فبقيت الأبصار مأخوذة بضيائه والألباب أسيرة لبيانه، قارعًا الأسماع بجرس ألفاظه وروحانية موسيقاه العذبة وتناسقه الصوتي المبهر ونسقه الإيقاعي الآسر. ومن هنا كان علينا الوقوف على الجانب الصوتي له لما يشكّله من ركيزة أساس في فهم وإدراك كُنه التعبير القرآني أوّلاً وجماليته ثانياً، لأن التعبير الإيحائي للنص هو أحد الوسائل التي تعبّر بها اللغة عن المعاني، بوساطة الإيحاءات (Connotation) التي تحيط المتلقي بها، وربط الأصوات بمدلولاتها ربطاً وثيقاً تكاد تكون من طبيعة ذلك الصوت، فكلّ صفة من صفات هذه الحروف داخل التركيب الإفرادي أو الجملي للكلمة تعكس الصورة الفكرية والإيقاع الروحي والسمعي لتلك الكلمة بما يؤدي الغرض المطلوب منها والمهمة المناطة بها؛ من ترغيب وترهيب، أو تقرير وتصوير، أو شدّة ورقّة، أو تودّد وزجر، بما يخالط خلجات الروح الإنسانية ومخاطبتها وإثارتها بما تعكسه أصداء صفات حروفها سلباً أو إيجاباً، فتحدث مواءمة وإقران بين المعنى (Meaning) وصفة الصوت (Voice Character)، وبين الدّلالة (Indication) والرنّم (Descant) في الكلمة الواحدة، التي لها سيماء ونتيجة على السامع أو المتلقّي، فتنتفض فيه نكتة معّينة أو جانب محدّد داخل نفسه؛ لذا كان القرآن الكريم دقيقا في اختيار كلّ كلمة لكلّ جملة وسياق، لما يعطيه من قوّة إيحائية مستمدّة من الصفات الصوتية لتلك الكلمة.

وممّا لاريب فيه تفرّد كلّ كلمة بحروف تميّزها ممّا سواها ما يمنحها سمة سمعية خاصّة تمتاز بها من غيرها، وهذا من ملامح النظم القرآني، وقد التفت الخطّابي(ت٣٨٨هـ) إلى هذا الأمر مشيراً إلى (أنّ الكلام يقوم بأشياء ثلاثة: لفظ حاصل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأمّلنا القرآن وجدنا هذه المطالب فيه لكن من أعزّها وأشرفها، حتّى لا نكاد نعثر على ألفاظ أبلغ ولا أحكم ولا أحلى من

لفاظه)[1] فمن إعجاز هذا الكتاب أن اشتمل على أكبر قدر من الصور الإيحائية الصوتية واستفاض في طرقها متنوّعة مفصحة من غير لسان.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة؛ لتبصر النور من بين بقّية الدراسات الأخرى فهي عريقةٌ بملامح الحداثة وأصيلةٌ من أعراق مختلفة، وتليدةٌ بمظهر جديد؛ إذ تتوخّى إبراز أهمية الجانب الإيحائي لصوت الحرف القرآني بطريقة وصفية وتحليلية قد زاوجت فيه بين النغم والصور والحرف والإيحاء؛ لتُظهر البون الشاسع بينها وبين الدراسات السابقة لها، متّخذة من المنهج التحليلي الوصفي الذي يتطلّب التفصيل الدقيق مع الإبانة والتقييم، وصولاً إلى تكوين الحكم النهائي لذلك الإيحاء الصوتي وطريقاً للإجابة بصورة موضوعية وعقلية عن التساؤلات التي تتعلّق بماهية علم الأصوات وما هي الصفات التي تميز كلّ صوت عن الآخر؟ وما تأثير دلالاتها الإيحائية في اللفظ خاصّة والسياق عامّة ؟

فالدرس اللغوي الصوتي في الوقت الحاضر يأخذ أبعاداً كثيرة ومتنوّعة في ضوء تطوّر العلوم اللسانية الحديثة على صعيد علم الأصوات (فوناتيك)(phonetics) أو علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا) (phonology)، وكذلك أماط اللثام عن حقائق لم تكن مطروقة من قبل كالـ (articulatory phonetics) والـ (acoustic phonetics) والـ (auditory phonetics). وما نحن بصدد القيام به في هذه الدراسة هو دراسة وتحليل الصفات الصوتية للحروف وإيحاءاتها الدلالية ومعرفة مدى قوّة تأثير هذه الصفات الذاتية للحرف على صعيد الكلمة والسياق معاً، وكذلك الاطّلاع على كيفية انسجام هذه الإيحاءات الصوتية وسبكها في الكلمة الواحدة، ممّا يمكنها من حمل وتمثيل المعنى في الخطاب القرآني، وكذلك ملاحقة ورصد الظواهر الفونيمية (Phoneme) في هذه السور الكريمة.

فغرض هذه الدراسة هو أن تسدّد سهماً بيانياً يصيب الإعجاز الصوتي لهذا الكتاب الخالد، وحلّ شفرات الموسيقى الداخلية له، وتوجيه أنظار الباحثين إلى الدراسات الصوتية التحليلية وأهمّيتها للتقدّم بركب الدراسات الصوتية والألسنية، وكذلك إجلاء الغبش عن أحد المشاكل التي تعترض طريق الباحثين في مجال فهم الخطاب القرآني واستنباط الأحكام، وهي معرفة سبّب التنوّع و الإختلاف ما بين قوّة أو ليّن، أو جهور

وخفوت لذات الخطاب في مواضع مختلفة، فالقرآن الكريم وعلى مدى العقود المتعاقبة كان وما يزال حقلاً خصباً في مجال الابحاث اللغوية؛ سواء كانت بيانية أم تقعيدية أو دلالية أو صوتية، وكان هذا الأخير مضماراً تنافسياً ملتهباً لتعلّقه بالتجويد والقراءات القرآنية، ممّا حدا بهم إلى تخصيص وإفراد دراسات في صفة الصوت القرآني بغضّ النظر عن إيحائه منها: (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة للقيسي، والتتمّة في التصريف للموصلي، والخلاصة من أحكام التجويد للعمري) وغيرها.

وعلى الصعيد الآخر أيضاً نجد كُتّاباً ومؤلّفين قد عرضوا الجانب الإيحائي في اللفظ أو التركيب القرآني بصورة عامّة أو لسورة واحدة من سوره بصورة خاصّة من دون الإشارة أو التطرّق إلى الجانب الصوتي، أو ذكر المصدر الذي اكتسب منه اللفظ إيحائه، أو المنبع الذي استوحى منه معناه؛ سواء كان ذلك الإيحاء قوياً أم ضعيفاً، ونذكر من هذه المؤلّفات: (الصورة الأدبية في القرآن لعبد التواب صلاح، وإعجاز القران والبلاغة النبوية لمصطفى الرافعي، والتصوير الفني لسيّد قطب)، وغيرها كثير، إلا أنّ هذه الدراسات على الرغم من روعتها وشموليتها وغناها كانت مقتصرة ومحصورة في جانب دون الآخر، أمّا في أحسن الأحوال فلا تتعدّى كونها قطرات ماء متناثرة هنا وهناك، أو ومضات خافتة خجلة تظهر بين الفينة والأخرى بين طّيات كتبهم وأبحاثهم، كما هو الأمر عند ابن جني في باب: إمساس الألفاظ أشباه المعاني من كتاب الخصائص.

١-التمهيد:التعريف بمصطلحات الإيحاء والإيقاع والصوت :

(١-١) الإيحاء (Suggestibility):

الإيحاء لغة: هو الإشارة السريعة، أو هو إدراك شيء لطيف المادة حادّ الأثر بصورة خفيّة غير مباشرة، كالشعور باقتراب المطر بعد سماع صوت الرعد[٢].

الإيحاء اصطلاحاً: وهو تلك الأصر الرابطة بين الدال والمدلول، أو اللفظ والمعنى، فأوّلى مبادرات الإهتمام بمسألة الإيحاء الصوتي للحرف ومحاكاته لم تكن وليدة المصادفة، بل إنّ اهتمام اللغويّين والأدباء ذوي الحسّ المرهف وشغفهم بهذا الجانب من دون غيره كان تنبيهاً منهم إلى قوّة أثره ودوره في أداء الكلمة والجملة معاً و إيماناً منهم بأنّ منبع هذه الإيحاءات هو موسيقى هذه الأحرف وجرس أصواتها، ولعلّ ابن جني(ت٣٢٩هـ) هومن أشدّ المهتمّين بظاهرة الإيحاء الصوتي ومحاكاته، وقد أشار أيضا

إلى ذلك في كتاب الخصائص نقلاً عن الخليل(ت١٧٠هـ) قائلاً: (إنّ العرب قد وهموا في صوت الجندب استطالة ومدّاً فقالوا: صر، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر)، وأشار أيضاً قائلاً إلى ما ذكره أستاذه سيبويه(ت١٨٠هـ)بشأن المصادر التي على زنة فعلان قائلاً: (إنّها تأتي للاضطراب والحركة نحو النقزان والغليان والغثيان)[٣]، أمّا المحدثون أمثال هنري لوفيغر (Henry Loviger) فينظرون إلى الإيحاء بأنّه (أصداء العلامات الإنفعالية والعقلية ألهمتها الألفاظ المستعملة قيماً إضافية متّصلة بالعلامة وملازمة لها بدون تغييرها)، أمّا إبراهيم أنيس(ت١٣٩٧هـ) فقد كان ينظر للإيحاء أنّه (تلك الظلّال التي تختلف باختلاف الأفراد)[٤]. وشبّهها إبراهيم أنيس بالدوائر التي تحدث عقب إلقاء حجر في الماء.

(١-٢) الإيقاع (Rhythm)

الإيقاع لغة: وهو إيقاع اللحن في الغناء وأنْ يوقع الألحان ويبينها[٥]،أو هو حركات متساوية الأدوار لها عودات متوالية [٦].

الإيقاع اصطلاحا: إن لمصطلح الإيقاع عدة تعريفات منها: (هو النقلة على النغم في أزمنة محدودة المقادير والنسب)[٧] أو هو(وزن منتظم يقوم بتوزيع العناصر اللسانية، أو هو الاختلاف في الزمن بين القوة والشدة)[٨]، أما عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، فيقل:(أعلم اننا لا نأبى أن تكون مراقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلاً فيما يوجب الفضيلة وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز وإنما الذي نتركه ونتقبل رأي من يذهب إليه أن يجعله معجزا وحده ويجعله الأصل والعمدة)[٩]؛ فلا يعد الإيقاع وسيلة إطراب او تلبية لانفعال نفسي صرف فقط بل له قيمة إيحائية ودلالية وقوة تأثيرية تعلو على المعنى الظاهري للكلمة لما يتمتع به من قوة على صعيد المستوى الصوتي والمستوى الإيحائي(المعنوي)معاً وهذا ما سنتطرق لذكره في بحثنا هذا.

(١-٣) الصوت (Phoneme):

الصوت لغة : ورد في (لسان العرب) لابن منظور(ت٧١١هـ) في مادّة (الصاد والواو والتاء)[١٠](ص٣٠٢): من صات يصوت صوتاً فهو صائت، معناه الصائح من إنسان وغيره، وورد بمعنى الجرس، والجمع: أصوات، وقيل: (صوّت فلان بفلان، أيّ دعاه، وفلان حسن الصيت وله صيت وذكر حسن)[١١]وقد ذكر ابن منظور معنى صوت في

معجم لسان العرب بقوله: (وهو أسم يلزم كلّ ناطق من الناس والبهائم والطيور وغيرهم، وقيل: رجل ذو صيت، إذا كان عالي الذكر)[١٢].

الصوت اصطلاحاً: له عدّة تعريفات نذكر منها: (هو عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متّصلاً حتّى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمع المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها)[١٣] أو(وهو الأثر السمعي يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزاً أعضاء النطق، والملاحظ أنّ هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدّلة وموائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه ألمختلفة)[١٤] أو(وهي ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها، فكلّ صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتزّ على أنّ تلك الهزّات قد لا تدرك بالعين في بعض الحالات)[١٥]، أمّا دي سوسير(F. De. Sus) فيقول: (إن المادّة الصوتية ليست أكثر ثبوتاً ولا أشدّ تحديداً من الفكر، وهي ليست قالباً يصبّ فيه الفكر بالضرورة، بل هي مادّة مرنة تنقسم في كلّ حالة إلى أجزاء متميّزة لتوفّر الدوال(singnifices) التي يحتاج إليها الفكر)[١٦]، أو(هو طاقة أو نشاط خارجي تحدثه الموجودات المادّية ملقية بتأثيرها على الأذن عند تلقّي هذه الطاقة نتيجة سماعه)[١٧].

إذن، فهو اختلال أو انضغاط في جزيئات الهواء مكونة مجموعة من الاهتزازات الميكانيكية المركّبة التي تتشكّل نتيجة ضغط الهواء، وتشكّل انتشاراً موجياً بشكّل معيّن ناجم عن اهتزاز الأوتار الصوتية أو عمود الهواء، لتخلق صورة ذهنية في عقل المتلقّي، فكلّ صوت من الأصوات العربية يقع بين مطرقة القوّة وسندان الضعف ويقع تحت تأثير نقاط المدّ والجزر من قوّة أو ضعف، فكلّ سمة من سمات هذه الحروف؛ سواء ما دخل منها في تركيب اللفظ أو الجملة تصبح مرآة فكرية ونغمة إيقاعية تداعب الروح والسمع بما يمضي إلى تحقيق الغاية المنشودة منها والرسالة الحاملة لها؛ من تشويق وإعراض، أو إلزام وإعراب، أو قسوة وليونة أو ترخيص ونكوص، بما يساير نزعات الروح الإنسانية، فهذه الصفات هي أهمّ ما يميّز هذه الوحدات الصوتية فمنها ما هو متفوّق بوضوحه السمعي عن باقي الأصوات، فيلفت نظر السامع ويشدّ انتباهه إلى ما يقال، ومنها ما يمدّ النفس بنغم حسّي مقرّاً فيها السكينة والأنس، كأنّ الأرواح تستقرّ فيه على فرش من السحاب، وتتفاوت إيحاء وقوّة وطول الأصوات نسة إلى الصفات التي يتّصف بها

الفونيم (Phoneme) قوّة أو ضعفاً؛ ليَسم تلك الكلمات والمقاطع بسحره الموسيقي والنغمي، وليأخذ بتلابيب الكلام ملوّناً إيّاه بألحان متنوعة تارة صاعدة كقمم الجبال، وأخرى هابطة كقيعان الوديان، وأخرى تصبّ في النفوس رقراقة ندية مهفهفة؛ لتكون تلك الأصوات بإيحاءاتها كنبضات قلب اللغة ثابتةً منتظمة في استرخائها، متسارعةً مضطربة في استثارتها، معبّرةً بأصدائها، موحيةً بإيقاعها، ولما كانت هذه خواصّ وإيحاءات حروف هذه اللغة، فما بالك بكلمات ذلك النبض السرمدي الأزلي المعجز الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة؟! فمن إعجاز هذا الكتاب أن شمل على أكبر قدر من الصور الإيحائية والدلالية، واستفاض في طرقها متنوعّة مفصحة من غير لسان، وسنتطرّق في السطور الآتية إلى عرض الحروف وصفاتها مع التمثيل الإيحائي لكلّ منها.

٢- (الصفات المتقابلة للحروف)(The Allophone):

(٢-١)الجهر (Sonorous):

وهو صفة للصوت الذي ينتج من مرور الهواء(الزفير)(Exhalation) بالحبلين الصوتيين مسبّباً اهتزازهما مع استغلاق للنفس عند الوصول إلى إشباع الحرف لقوّته، ولا نغفل عن ذكر اختلاف علماء الأصوات في عدّ بعض الأصوات مثل(ق- ط) من المهموسة أو المجهورة، إذ عدّها بعض المحدثين ومنهم: أنيس إبراهيم، من الأصوات المهموسة، وآخرون من المجهورة. إنّ لسمة الجهر في الحروف تأثيرها الجليّ في أصداءها وعلوّ نغمها ووضوحه، وكذلك في نقاء مخارجها وقوّتها في أذن المتلقّي، إذ تدلّ بأجمعها على غلظة وثقل وطأة هذه الأحرف في التركيب وفي السياق بسبب أصواتها المجهورة والجهد المبذول في نطقها، فكأنّها تخرج مزلزلة أعماق الصدر مع استطالة واستنفاذ كامل للنفس، كأنّ جبلاً يربض على صدرك، فما أنْ تنهيها حتّى تتنفّس الصعداء، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (الانعام-٣١)، فحروف كلمة (أَوْزَار)(Sins-Burden) خير مثال على ما تقدّم؛ إذ صورت لنا أصداءّ مجهوراتها جللَ ذلك الثقل

المكتسب من الذنوب الذي أناخ على ظهر صاحبه معنتا حامله ليرضخه تحت ركام الكمد ملتعجاً، فأيّ صورة فنيّة رسمت ولوّنت بالكلمات وأيّ تجسيد لهذه الصورة المستوحاة من أصداء تلك الكلمة![١٨].

(٢-١-١)الهمس (Surd):

وهو صفة للصوت الذي ينتج من مرور الهواء(الزفير) بصورة رائقة سلسة بالحبلين الصوتيين والحيلولة دون اهتزازهما حتّى إشباع الحرف لضعفه، مّما لا يخفى على القارئ الكريم ما للأصوات المهموسة من أثر وجرس في السياق وتمثيل المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة-٣٠).

لو تأملنا كلمة(يَسْفِكُ)(Shed) لوجدنا أنّ حروفها ذات جرس موسيقي خافت لا يحمل أيّ صفة من صفات الإضطرام المجلجل، الذي تتّصف به باقي الحروف، فهي ذات جرس يشبه رفيف أجنحة الفراشات أو ذرف الدموع، فهي فضلاً عن تميّزها بصفة الإخفات والهدوء تتميّز بالإستفال والانفتاح أيضاً، مّما يلقي بظلّال الضعف والخواء على صدى هذه الأحرف، والسفك هو إسالة وإراقة لكلّ سائل بهدوء خلافاً لصبّه، نقول: سفكت ماء القربة، أيّ أرقت ماءها وأسلته على الأرض من دون صوت، ولو رجعنا إلى الآية القرآنية وتمعّنا في استفهام الملائكة بجعل من يريق الدماء خليفة في الأرض لعرفنا أنّ إزهاق الروح لماله من ظلّال القوّة والجلبة الجسدية والصوتية القاتمة من جانب يلقي بظلّال خافتة هادئة منسابة من جانب آخر، كانسياب الدم وسفكه من جسم الإنسان مّما يلوّنها بألم غائر وشدا حزين خافت كتخلخل قطرات المطر إلى أعماق الأرض، وهذا ما كانت هذه الكلمة معبرة عنه برنّم وأصداء مهموساتها[١٩].

(٢-٢)الشدة (الانفجاري) (Plosives):

وهو إغلاق مرور الهواء(الزفير)عند النطق بالحرف مشبعاً إغلاقاً تاماً عند وصوله لمنطقة النطق به، مّما ينجم عنه صوت انفجاري هو أكثر الأصوات تمثيلاً للمعاني المرتبطة به، وخاصّة فيما يمثّل القوّة؛ وذلك بسبّب ما يتميّز به من مزايا تؤهّله لأنْ يكون أكثر الحروف حيوية وسطوة وأبقى أثراً، فأمّا عن مكمن قوّته فهو في ثلاث خلال فأمّا الأوّلى

فتبدأ من آلة نطقه وما يؤديه الهواء من دور فيها، والثانية فهي في مكنة التأثير السمعي، وأمّا الثالثة فهي في استمرارية واستطالة الموجات الأثيرية ووصولها إلى المتلقّي، ونمثّل لهذه الأصوات في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ (البقرة-٢٤٥) فـ(القاف والباء والضاد)(Catch-Decrease) في كلمة (يَقْبِضُ) تعبّر عن حالة الشدة والجذب والقوّة المصحوب بالصلابة المنبثقة والإحكام المطبق من كلّ الجوانب من دون أيّ اختلال، كأنّك قد أجمعت كفّك وأحكمت قبضتك على جوهرة، فهذه اللوحة المنبجسة بالقوّة والرنّم الصادح بالفتك ماهي إلّا أصداء حروف الشدّة وأشدّها الباء، ولا نبتعد عن أجواء هذه الآية القرآنية والمنعة الظاهرة إلّا مقدار حرف واحدا فقط، حتّى تبدأ فيه تلك السحب المكفهرة بالانقشاع التدريجي وتلك القبضة باللّين والتمدّد والسعة التدريجية؛ حتّى تنبسط بفضل توسّط صوت الصاد الرخو في كلمة(يبصط)، كأن الأمل تسلّل إلى تلك الصلابة كتسرب الماء من الصم، وقد قرئت بالسين(يبسط). ونذكر هنا مفارقة صوتية بين القراءتين:(يبسط) تفيد معنى الميسرة والتمدّد الجزئي لباعث مقيد، و(يبصط) تفيد معنى الميسرة والتمدّد الكلي لباعث مطلق، من هذا نعرف إنّ(يبصط) هي أرفع رتبة وأتمّ قدرة وأنفذ ظهوراً من(يبسط)[٢٠].

(٢-٢-١)الرخاوة (الاحتكاكي) (Fricatives):

وهو إغلاق مرور الهواء(الزفير)عند النطق بالحرف مشبعاً إغلاقاً جزئياً عند وصوله لمنطقة النطق به، ممّا ينجم عنه صوتا احتكاكياً حفيفياً أو صفيرياً، ومن أهّم ما تتميّز بها هذه الأحرف هي صفة الضعف في بنية الحرف الصوتية؛ ما يحتم عليها الانفتاح والاستطالة مع الضآلة، وهذا ما له وقع جليّ على مكنة التأثير السمعي واستمرارية واستطالة الموجات الأثيرية، إذ أنّ هذه الرخاوة تسمها بجرس خافت مقارنة باختها الانفجارية، فهي تنوء عن كلّ صفات الشدّة ودلالاتها، كما في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾(البقرة-١٦٢)، فالخرخرة والتذبذب في الخاء المفتوحة والنفخ في الفاءين مع التشديد الموجودة في كلمة(يخفّف)(Relieve) تدلّ على التقليل والراحة من الشدّة كأنّك قد ناولت سليماً ترياقاً يقلص ويهون فيه ذلك الألم، ومججت

مشقَّته وأحزانه بالسكينة التدريجية، وسقيته رشفة من برد الرحمة والراحة، وأطفأت تلك النار المحرقة، ولكن أنّى لهم ذلك ؟! وقد حكم الله عليهم بخلافه.[٢١].

(٢-٢-٢) المائعة- المتوسّطة (Liquids):

وهي صفة للأصوات التي تتّسم بالتوسّط بين الشدّة والرخاوة، وتتميّز أيضاً بصفة التذبذب والاستمرارية، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف-١٨٩) فال(ح-م-ل-ت)عبّرت عن الصفات الثلاث مجتمعة للأحرف من شدّة ورخاوة وتوسّط، فرنم الحاء يحاكي في رخاوته وخفّته بداية هذا الحدث البيولوجي، ومع استمرارية التقّدم الزمني له يمرّ في حالة من التذبذب بين الخفّة والثقل والتوسّط بينهما، وهذا ما يحاكيه رنم الميم واللام ليصل إلى آخر مراحله وأشدّها، وهي الوضع، وهذا ما تمثّله الوقفة الانفجارية لرنم التاء.

ولو أخذنا جانب الاتساق بين الدال والمدلول في هذا النص الكريم لوجدنا أنّ هذه الكلمة قد أخذت أبعادها فيه، فتجسّدت الآية الكريمة في مجملها بكلمة واحدة دلّ عليه إيحاؤها الإيقاعي، وأعيد تفصيل هذه الكلمة في سياق الآية الكريمة، كما في(حملا خفيفا) إشارة إلى الجزء الأوّل من(حملت) الـ(ح). وأمّا(فمرّت به) فإشارة إلى وسط الكلمة الـ(م-ل)، وأمّا(اثقلت) اشارة إلى الجزء الأخير منها الـ(ت). وقد ورد في كتب التفاسير إنّ معنى(حملا خفيفا) إشارة إلى تطّور الجنين، يبتدئ خفيفاً كالعدم، ثّم يزداد تدريجياً[٢٢]، وأمّا(مرّت به) فهنالك رأيان، وكلاهما يعطيان صفة من صفات الحروف المائعة؛ الأوّل إنّها تعني (استمرت به)[٢٣]، أيّ أفادت معنى الاستمرارية، وهي صفة للحروف المتوسّطة. والثاني فهي مأخوذة من(المرية)، أيّ الشكّ بمعنى أنّها شكّت في ما أصابها؛ أهو الحمل أو المرض؟ [٢٤] وذكره كذلك الزمخشري (ت٥٣٨هـ) [٢٥].

ولا يخفى علينا أنّ الشكّ يفيد معنى التذبذب بين السلب والإيجاب، وهي صفة للحروف المائعة فهي متذبذبة بين الشدّة والرخاوة، وأمّا (اثقلت) فتعني قبيل الوضع،

فهل بقي إعجاز أو برهان أكبر من هذا لإثبات حكمة القرآن في اختيار الأصوات ودلالاتها بما يناسب المعاني المنوطة بها ؟!

(٢-٣)الاستعلاء (Superior):

وهو ارتفاع اللسان(The Tongue) إلى سقف الفكّ العلوي(The upper jaw) مع انحباس الهواء(الزفير) في موضع نطق الحرف وإطلاقة عند النطق به مشبعاً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(البقرة-١٧٩)، لو أخذنا كلمة(قصاص)(Justice-Legal) المأخوذة من(قصَّ) المذكورة في الآية آنفا لوجدت أنّ جلّ حروفها هي حروف تتّسم بسمة الاستعلاء والإطباق معاً، وهاتان الصفتان لهما التأثير البالغ في آلية تصويت هذه الأحرف من جهة واستمرارية تصويتهما من جهة أخرى فضلاً عن ارتباط هذه الصفات الرنّمية بالمعنى المقصود منها، فلو أخذنا معنى قصاص في اللغة، فهي تأتي على ثلاثة أوجه: الأوّل مأخوذ من قصَّ الأثر أيّ تتبعه، والثاني بمعنى القطع، والثالثة بمعنى المساواة أو التسوية؛ لذا سمّي المقصّ مقصّاً لتعادل وتساوي جانبيه[٢٦]، فالقاف حرف استعلاء وانفتاح، والصاد حرف استعلاء وإطباق، فمن يتعدّى حدود الله ويبيح حَرمه يُقتصّ منه ؛ لأن الإنسان هو حرم الله على أرضه ليضع العدلُ حدّاً لذلك المعتدّي، فقتله النفس من غير حقّ يتبعه جزاء بمثّل ما جنى مساوياً ومطابقاً له العين بالعين، هذا هو القصاص قاطعاً به سبيل الإفساد- وهذا ممّا له فائدة إعلاء حق الله وعدله- وحبساً لتلك الغريزة الحيوانية المدمّرة في الإنسان وقاطعاً بحكمه سبيل الفتنة بين الناس.[٢٧].

(٢-٣-١) الاستفال (Drop):

هو انحدار والتصاق(اللسان) إلى غور الفم(الفكّ السفلي)(The lower jaw) عند النطق بالحرف مشبعاً؛ ليخرج مع الهواء(الزفير)من موضعه. لقد علمّنا أنّ المعنى في اللغة العربية يمتزج امتزاجاً جوهرياً بأصوات الكلمة، فقوّة المعنى من قوّة أصواتها وبمقدار ما تمتاز به من خصائص، فلو أخذنا كلمة(تسقط)(Fall) في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (الانعام-٥٩) .لوجدنا أنّ حروفها قد توزعت بين

الاستفال والاستعلاء؛ (تسقط)؛إذ جسّد كلّ منهما هذا الحدث خالعاً عليه سحر التعبير والمعنى، واستحوذ الانفتاح على ثلاثة أحرف منها متبعاً الإطباق في حرفها الأخير، ولو أرجعنا البصر كرّتين لوجدنا حروف هذه الكلمة هي من الصوامت الانفجارية ماعدا السين، فهي من الصوامت الاحتكاكية، وكما تعلم أنّ الصامت المجهور أكثر بروزاً وارتكازاً من الصامت المهموس، فهو يمثّل شدّة صدى ورنم ذلك الارتطام الملصق بالأرض وإنْ لم يعيه الإنسان بحواسّه المحدودة كسقوط ورقة الشجر، فالحدث يبتدأ بالقطع وينهي رحلته بالسقوط. ولو استعرضنا معنى(سقط)في اللغة لوجدناه بمعنى الوقوع من أعلى إلى أسفل، ويُستعمل للأشياء الماديّة، نقول: سقط المطر أيّ نزل، وممّا يلفت التنبّه إلى استعمال القرآن لهذه الكلمة في مختلف سورة للتعبير عن إسقاط الشيء المادّي من أعلى إلى أسفل متضّمناً الوصول الى نقطة محدّدة مشتملا على صوت الارتطام، ممّا لا تمثّله الكلمات الأخرى التي تأتي بمعنى الوقوع من أعلى إلى أسفل مثل:(هوى) التي لا تتضّمن ترافق هاتين الصفتين معاً في المعنى المذكور.

(٢-٤)الإطباق (Occlusal-Velarization):

هو تشدّق(تقعّر) اللسان وانطباقه نحو الحنك الاعلى في طرف او اكثر منه مع انحباس الهواء وإطلاقه عند النطق بالحرف مشبعاً[٢٨]، كما في قوله تعالى:﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۖ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة-٢٣٠). فلو تمعّنا في طاء كلمة(طلق)(Divorce) لوجدناه قد امتاز من غيره بسمات عدّة، فهو شديد مهموس ومطبق باستعلاء ومقلقل بتفخيم، وكلّها تمثّل صفات القوّة وشدّة الاضطراب والمكنة؛ لما تختصّ به هذه الصفات من شدّة الرنّم والصدى الناجم عنها بعد إطلاقها من انحباسها المطبق يتبعه لام مجهور مهموس مائع، وتختم بقاف شديد مهموس منفتح باستعلاء مقلقل، فأصداء هذه الأحرف مجتمعة ترسم لنا سلماً موسيقياً يتدرّج بين القوّة والتذبذب والانبساط؛ لتهبط هذه الحروف مستقرّة على الأرض، متجسّدة لنا بصورة ظبي أطلق من قيد وكيد فرَشُقَ في جريه، فالـ(طلاق) لغةً هو الحلّ والإرسال[٢٩]،فما فتئ هذا الكتاب المعجز مفاجئاً لنا في انتخابه الأحرف التي تنقل صدى وصورة هذا الحكم على الحياة الأسرية والفردية ممثّلاً الحالة

الإنفعالية الشديدة والتذبذب والاضطراب المطبق التي ألمت بهذه المؤسسة وأدّت إلى طيّ بُسُط الأنس والاستقرّار فيها فكان حلّها في الطلاق.[٣٠].

(٢-٤-١) الانفتاح (Diastole):

وهو انبساط اللسان على الحنك الأسفل ليخرج الهواء سلسا عند النطق بالحرف مشبعاً.[٣١]، إنّ لهذه الصفة موسيقى خاصّةً تظهر في أصوات الأحرف المتّصفة بها، فلو أخذنا كلمة(فتح)(Open) من قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾(الاعراف-٩٦) لوجدنا أنّ حروفها تتّصف بالانفتاح المستفل المهموس، الذي يتّسم بضعف الرنّم الصوتي وقلّة ارتكازه، فهي لا تحتوي على أيّ مظهر من مظاهر الشدّة والاضطراب إلافي وسطها متمثّلاً بصوت التاء الانفجاري الذي خفّت بفعل توسّطه حرف الاحتكاك فهذا التناسق النغمي والإيقاعي لها فضلاً عن جنوح ا

لحركة بالحرف نحوها كما في صوت الفاء المبدد والتاء المفتوحين المسبوقين بالإمالة المنفتحة وحفيف الحاء المسكنة اللذان أضفيا على الكلمة نبضاً من الامتداد والسعة والاستطالة،[٣٢]؛كمن أزال ختم قارورة ليندلح منها عبير مخملي فوّاح يملأ منك السمع والبصر، فهذا الفتح الذي توعّد الله به هذه القرى هو غيث ممرع وقوت فائض مشبع ورزق موسع من بعد فقر مدقع. ولو استعرضنا معنى فتح في المعاجم لوجدناه، بمعنى نقيض الإغلاق أو الفرجة أو بمعنى إطلاق ما هو محتبس مادياً أو غيبياً[٣٣] كذلك[٣٤]وهذا يتوافق مع إيقاعه الصوتي.

(٢-٥)التفخيم (Velarisation_Coarseness):

وهو المحصّلة السمعية الناتجة عن ارتفاع قاعدة اللسان باتجاه آخر الحنك الأعلى عند النطق بالحرف مشبعاً. إنّ لهذه الصفة الصوتية تأثيراً بالغاً في الكلام وسياقه،[٣٥]فمن خلال التعريف السابق له يتبيّن لنا أنّ لها دّلالة إيقاعية وصورية وحسيّة، فباعتباره هو التضخّم أو السمن الذي يدخل على صوت حرف معين مانحاً إيّاه صورة عارمة عبلة متّسمة بأحاسيس عميقة عملاقة، مترافقا مع إيقاع صوتي كبير ونبر صلب شديد

مصاحب لنطق الصوت المفخم، مسخّراً بهذا الجهاز الصوتي لتمثيل وإيفاء حقّ التفخيم، فهو بهذا دخل في ثلاث مراحل من القوّة حتّى خرج بهذا الحجم، فمن قوّة الحرف والصوت إلى قوّة المخرج والآلية إلى قوّة المظهر والعاطفة.

ونوضّح ما تقدمّ بمثال في قوله تعالى:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة-١٩). لو تأمّلنا الكلمات(صيّب- ظلمات- صواعق- محيط) نجد أنّ أصوات الاطباق(ص، ظ، ط) التي تعدّ من أكثر الحروف تفخيماً وأشدّها ترنيماً؛ لما تتّسم به هذه الاحرف من سمات إضافية هي: الاستعلاء والإطباق، فأمّا الاستعلاء فمن صفات القوّة، وامّا الإطباق فمن صفات الشدّة ما يجعل هذه الكلمات تتميز برنم صوتي قويّ وظاهر من جهة، ونقيّ وواسع من جهة أخرى، ليوحي بدّلالة القوّة المطبقة مع استعلاء مستحكم وعظمة صارخة، وكلّ هذا نتلمّسه في صوت أوّل حرف منها، ففي الصاد المفتوحة من(صيب) التي تجسّد التهويل والشدّة في ذلك المطر النازل ليلاً، كأنّه صوت نحر السماء مطلقة تَهكّمها عليهم، فنجد إن صوت هذا الحرف منحها كلّ هذه الصفات مرّة بسبب تفخيمه وإعلائه وإطباقه، وأخرى عن طريق حركته _وهي الفتح _فكما نعلم أنّ حركات التفخيم المطلق هي الفتح والضمّ ونعلم أنّ الحركة تجنح بالحرف نحوها، فعند النطق بها تجعل فراغ الفم متّسعاً شديد التصويت، كأنه صدى كهف كما في(ظُلمات)(Darkness)، فما هذه الظاء إلا وصفا لظلّال تلك الأجرام(الليل والسحاب والمطر)، فهي ليست ظلمة عادية، بل إنها مضاعفة مشدّدة كثيرة منكرة عظيمة مصحوبة بقصف للرعد وحرق للبرق، فأيّ هول أعظم من أنْ يُحاط الإنسان بهزيم مظلم كالطيسل يطمس على بصره خالعاً مجامع لبّه من سجر الرعود، تكاد روحه تزهق ارتياعاً؟! فكانت أصوات هذه الأحرف خير مجسّد لتلك الصورة المهولة.[٣٦].

(٢-٥-١) الترقيق (Nonvelarized_Attenuation):

وهو المحصلة السمعية الناتجة عن انخفاض قاعدة اللسان باتجاه الحنك الأسفل عند النطق بالحرف مشبعاً. لو أمعنا النظر في قولة تعالى:﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ

وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام-١٥١). لوجدنا تغلغل نغم رقيق مرهف ينساب في ثنايا هذه الآية، وهالة مهفهفة رقراقة تلوح فيها متمثّلاً بكلمة (إحسان)(Good Treatment)، فمنبع ليّن ودماثة هذه الكلمة نابع من أصوات حروفها المرقّقة تارة، والمستفلة المنفتحة تارة أخرى، فالـ(أ-ح- س-ن) هي أصوات لحروف تميّزت إلى جانب الترقيق بصفتين أخريين؛ هما الاستفال الذي هو من صفات الضعف والانفتاح من صفات الخواء ممّا جنح بها إلى أنْ تتّسم برنم صوتي هادئ مسترخ من جهة، وإيقاع كليل ضاوٍ من جهة أخرى مع رحابة وانبساط، فكلّ هذا نتلمّسه في أصوات حروفها، فضلاً عن حركة الكسر التي تجنح بالحرف إلى الخفض؛ ممّا تصير آلة نطقه إلى حيّز صغير، فلا يكاد يسمع له صدى أو قوّة، فما هذه الـ(الهمزة والحاء والسين والنون) إلا وصفاً لما أمر الله به من وجوب إبداء الرحمة والسعة والبذل وإلانة الجانب تواضعاً بمحبّة ورقّة منشؤها قرارة النفس، وليس اصطناعاً يفترض على الجوارح للوالدين اللذين كانا السبّب الثاني بعد الله في الإيجاد والجود، ففضلهما وعطاؤهما لك كان من غير مقابل، حتّى أشتدّ عودك، وقوى وجودك فالإحسان لهما في الكبر جزاء لإحسانهما لك في الصغر، فرسمت أصداء هذه الكلمة بريشة ناعمة أجمل لوحة وأعمق معنى وأرقّ طرز لفحوى الإنسانية الصافية تجاه المنبع الأوّل، كلّ هذا تمثّل في حروف الترقيق.(٣٧).

٣- (الصفات المفردة للحروف) :

(٣-١) الصفير (Sibilants):

وهي صفة للأصوات التي تحدث احتكاكاً عالياً، وذلك نتيجة خروج الهواء(الزفير) بمشقّة وضنك في النطق بالحرف مشبعاً من موضعه، وهذه الصفة خاصّة بكلٍّ من(س- ص- ز)، كما في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة-٢١٤) نرى أنّ كلمة(زلزل)(until Shaken) تكوّنت من مقطعين

متماثلين(زل زل) فصوت الزاي هنا يتمتّع بسطوة صوتية حادّة تميّزه عن باقي الاصوات عامّة، والصفيرية خاصّة؛ وذلك لما يخلقه هذا الحرف من جرس قويّ بعيد الإسماع يستحوذ على انتباه ومسمع المتلقّي، فموجاته الرنينية العالية المشعرة بالاضطراب والحركة المبعثرة السريعة وجهارة اهتزاز صداه الموحية بالشدّة والقسوة، كأنك تنصت إلى صقل سيف يماني، إضافة إلى صوت اللام الموحي بالميلان والتقليب، ترسم لنا أبعاد ذلك الامتحان المادي والمعنوي وعنف تلك الحركة على الأشخاص والأحوال وقوّتها وتذبذبها وبعثرتها ما بين خفض ورفع وارتعاد وصليل متكرّر المرّة تلو الأخرى، المصحوب بالاضطراب والخوف المتعاظم، فكان هذا الحرف خير من عبّر عن هذه المعاني.(٣٨).

(٣-٢) الغنة- الانفية (Nasals):

وهي صفة للصوت المتردّد المضطرب الذي يتمّ عن طريق حبس الهواء عن الفم وخروجه عن طريق الأنف مسبّباً اهتزازاً في الحبال الصوتية(Vocal cords) وهي من صفات(الميم والنون)، وتعدّ من أهمّ الصفات والخطوات الإيقاعية الآسرة في القرآن الكريم، وسرّا من أسرار جمالية النظم والإيقاع فيه وتماشيهما معا لما تعطيه تلك الاستطالة من إداء صوتي حنين وحالم، ما يفسح المجال لتلك الخطوات الراقصة بالتماشي مع الجرس الموسيقي للسورة، ويتيح للقارئ تنغيم وترجيع هذا الحرف محقّقاً بها الاستساغة والمتعة له وللسامع معاً، وتسهم هذه الصفة بإضفاء صورة حسية وروحية على تلك الكلمات التي تكتنفها؛ لما لهذه الصفة الرنينية من وجود في التركيب الطبيعي للميم والنون، وتتوقّف قوّتها على الحالات التي يمرّ بها هذان الحرفان من تشديد أو إدغام أو إخفاء أو إظهار أو تحريك،(٣٩)،كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة-٧٤)، فال(نَّ) المشدّدة يظهر فيها صوت الغنّة بصورة واضحة وقوّية ذا صدى يرسي الروح على شواطئ الراحة الدافئة مختزلاً من أعماق النفس كلّ آلامها ولواعجها، ليخرجه مع صداه رصيناً مؤكّداً مستقرّاً لذلك المعنى الذي يحمله(٤٠).

(٣-٣) التكرار (Rolled):

وهو الصوت الناتج من تتالي تخبط طرف اللسان على الجزء اللثوي من الحنك الأعلى، وهي من الصفات التي ينفرّد بها صوت(الراء)من دون باقي أحرف اللغة، ما يجعل منه عنصراً ذا تركيبة فذّة تمنح الكلمة صفة السلب والإيجاب المتكرّر المؤدي إلى تأكيد الحدث، موحياً باستمراريته وتمدّده مع خفّة قرعه، كما في(صرٍ)(Frost) من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (آل عمران-١١٧) فصفير صوت الصاد المكسورة التي توحي بحالة الانكماش المستمدّ من حركة الحرف، مع تكرار صوت طرق الراء المشدّد المضموم الذي يوحي لنا بالضخامة والتوسّع والتمدّد والمستوحى من حركة الحرف، ينقل لنا حقيقة أحداث تلك الليلة بعد أن حلّت عليهم تلك الريح العاتية الكؤود الشديدة ذات البرد القارص القَشف حاملة معها ضارياً مدمراً أخر يُسمَعُ صدى خطوه في الأجسام التي يمتدّ إليها، محرقاً كلّ ما يلامسه ليتركه هشيماً قاتماً، فكأنّ القوم قد أخذوا من فوقهم بفعل صوت الريح العاصفة الباردة فوق رؤوسهم، ومن تحتهم بفعل صوت الصقيع المتسلّل تحت أقدامهم، الذي أحرق حرثهم، وهذا كلّه قد مثّله صفير الصاد المهموس المستعلي بإطباقه، وتكرار الراء المجهور المستفل بانفتاحه المفخم الموحي بمضاعفة البرد وتكراره، فرنّم هذين الصوتين معاً صوّر لنا هذا الخطب الجلل الذي نزل بساحتهم !

(٣-٤) القلقلة (Concussion):

وهي اهتزاز وتموّج الصوت بقوّة عند النطق بالحرف مسكناً مشبعاً من مخرجه وهي من صفات(القاف والطاء والباء والجيم والدال). إنّ من أبرز الإيقاعات الرنّمية لآي الذكر الحكيم هي القلقلة؛ لما جمع لها من صفات تميز حروفها مختلفة عن الأخرى، فما امتازت به هذه الحروف من جهورة وشدّة جعل من غير الممكن الوقوف عليها من دون أن نسمع لها تلك النبرة الصارخة المنبعثة من شدّتها المجهورة، فلا يمكن لهذه الأحرف أنْ تولد مسكنة من دون ضجيج يرافقها معلناً عنها في هذا العالم الأثيري، مثبتاً جرسها الصاخب النابع من قوّتها في عالم الأصوات، فلو أخذنا حرف الطاء في كلمة (قسط) في

قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران-١٨)، فجرس وقلقلة هذا الحرف الموحية بقوّة وضخامة ذلك التفريق من جهة، ودقة واتّساع ذلك التقسيم من جهة أخرى تناسب مع السياق المنبثق بالقوّة والإيقاع المتمكّن الصاخب لكلمات ونغم هذه الآية، فقد أوجزت ورسخت صفاته سبحانه، فقد عزّ فحكم فعدل[٤١].

(٣-٥) الانحراف- الإمالة (Laterals):

وهي صفة للصوت الناتج من مرور الهواء من جانبي اللسان بعد إغلاق مخرج الصوت إغلاقاً محكماً، مع إبقاء أسلته متّصلة باللثة عند النطق بالصوت من مخرجه مشبعاً،[٤٢] وهي من صفات(اللام)، كما في(لعب) (Play) من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة-٥٧). إنّ من إيحاءات الـ(ل) المفتوحة هو التحريك والتقليب المتوائمة مع صفة الانخفاض والانفتاح والتوسّط بين الشدّة والرخاوة والجهورية المرققة، التي تصف بدقّة ابعاد هذه الكلمة لغوياً، (وهو كلّ فعل مضطرب لا يتبعه نفع لذا جعل نظير الجد)[٤٣]، وتسمّى اللعبة بهذا الاسم لما يرافقها من تحريك ورفع وخفض عبثي.

(٣-٦) التفشّي (Circulating):

وهو سعة وانبساط الهواء(الزفير) عند اتصال أوّل اللسان ووسطه بوسط أعلى الحنك عند النطق بالحرف في موضعه مشبعاً، وهي من صفات(الشين).[٤٤] وقد عرفت أيّها القارئ الكريم أنّ الحرف كالعضو في جسم الكلمة وكالخليّة في جسد الكلام، فهو نابض بالحياة معبّر عنها، كما في(فراشا)(Bed) المأخوذة من(فَرَشَ) في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة-٢٢). فَفرِقة وانفتاح أحرفها المستفلة، مع همس واحتكاك حرفي ال(ف) المتشعّب وال(ش) المنتشر، وجهور الراء المتوسّطة من جهة، وعروج صوت ال(ش) المنتشر الى مخرج تنوين الفتح من جهة أخرى أعطى هذه الكلمة نغماً صوتياً يوحي بالامتداد من دون غلظة أو قسوة، كامتداد جناحي الطائر أو إفساح

الخصب على الأرض؛ وهذا ما يوائم الإيقاع الصوتي المخملي الهادئ للآية القرآنية، فالفراش لغةً (البسط أو مّما نبت على الأرض من دون ساق)[٤٥] فقد منَ الله على عباده بأن جعل لهم هذه الأرض ذلولاً منبسطة صالحة للحياة فوقها.

(٣-٧)الإدغام (Assimilation):

وهو دمج حرفين أوّلهما في الثاني(الساكن في المتحرّك)، حتّى يصيرا حرفاً مشدداً واحداً من شاكلة الحرف الثاني سواء كان هذان الحرفان متماثلين أم متقاربين أم متجانسين، ومن حروفه(ي- ر- م-ل- و- ن)[٤٦]، وإذا كان مزج الألوان يضفي على اللوحة روحاً جديدة، ويردفها بمعانٍ وجمال مميّز فمشج أصوات الحروف يضفي الجمال ذاته، لا بل وأكثر منه على الصعيد الصوتي والإيقاع الموسيقي، فأصداء تلك الموجات الأثيرية الناتجة من دمج جوهر تلك الحروف مع بعضها تتجلّى في جمال شكّلها وعذوبة نطقها وخفّة وقعها وقوّتها، ولا ترجع أهميته في ابتعاده عن الثقل في النطق فقط، لابل هناك نواحٍ مهمّة أخرى تهمّ الدرس الصوتي؛ منها معرفة تأثير الحروف المدغمة من قوّة أو ضعف أو تلاش للصفات الصوتية في بعضها، وقوّة أصدائها، والارتكاز النغمي الموسيقي بالنسبة إلى الحرف المدغم و المدغم فيه، فمثّلاً(مَدَّ)(Reinforce) في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ (آل عمران-١٢٤). نلاحظ شدّة الرنَّم وقوّة الارتكاز والاستطالة الظاهرين في سياق الكلمة المدغمة، ودلالتها الموحية بالقطعية والقوّة المحفزة، والتأكيد الغامض المشجع للمسلمين على الثبات والقتال وبحتمية النصر مع المدد المستقى من نشاط الإدغام في اللفظة خاصّة، وفي والآية عامّة، وكذلك من أسلوب الاستفهام الاستنكاري الصارخ في الآية، فصورة هذه الإعانة والتقوية المترادفة الخفية الدافعة المرسلة من الله إلى المؤمنين قد رسمتها وأوحت بها صفة الإدغام في الآية من خلال كلمة (مدْدَ)[٤٧].

(٣-٨) المدّ واللّين (Long Vowels)and(Diacritic Vowel):

وهو جريان الهواء(الزفير) مسترخياً من مصدره(الرئتين)(Two Lungs) ماراً بالجهاز النطقي حتّى آخره من دون اعتراضه بعائق حتّى موضع نطق الحرف مشبعاً،

وهي من صفات الـ(أ- و- ي). إنّ لهذه الأصوات إيقاعاً مميزاً يتسم بالنعومة المتمايلة الممتدّة، والأصداء المتَميّسة المتبخترة التي تجافي أيّ مظهر من مظاهر الشدّة(٤٨).

لقد نجحت هذه الاصوات الرقيقة الرهيفة أنْ تثبت وجودها بجدارة وسط محيط الأصوات المترامي، فكانت كأمواج رقيقة تضرب شواطئ الروح والإسماع، فما وجدت هذه الاصوات في كَلِم وبيل إلا وكانت هي قرّاره، ولا رنّم شجي إلا وهي عماده، ولا طرب آسر إلا وهي وتره المتجلّي، فهي تلوّن كلّ ما تلامسه وكلّ ما يلامسها؛ تارة بالتطريب المعبّر، وأخرى بالإيحاء المؤثّر، وثالثة بالإعراب المظهر، فوجودها في الكلمة يعطيها امتداداً صوتياً مرتفعاً يمدّ دلالتها توكيداً، ويعضدها معنى بمقدار مدّ ذلك الصوت، كما في(حآجّهُ) (Argued) من قوله تعالى:﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (الانعام-٨٠). فصوت الألف الممدود ذو الجرس الموحي بالتعظيم والإكبار والقوّة المستنزِفة يصوّر لنا مشاهد تلك المجادلة وذلك الحوار الطويل المحتدم بين إبراهيم -عليه السلام- وقومه، وما كان يكتنفه من جلبة و مغالبة بالحجج وتهديد ووعيد وتطاول للأصوات المصحوبة بالشجب، فكان ذلك الجدال ساحة حرب فكرية وعقلية وعقدية يحتدم فيها القراع بين السلب والإيجاب، والنور والظلام، والحق والباطل، بعد أن أنبرى إبراهيم بقبس فطرته النقّية وقلبه السليم متصدّياً لتلك النفوس السقيمة والعقول المغلقة والارواح المعتمة، محارباً ومفنّداً أشباح عقائدهم الجاهلية، فكان صوت المدّ منسجماً مع الإيقاع الموسيقي للكلمة ومتناسقاً مع الإيقاع النغمي للآية التي تحمل في طيّاتها مظاهر الاستنكار العظيم والاعتراض المشدد على أقوالهم وحججهم الواهية، وإليك مثّلا آخر في مدّ الحركة (الصائت القصير_Short Vowel) كما في(الهاء المكسورة) في(ربّه) من قوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة-٣٧). إنّ إشباع هذا الصائت القصير(الكسر) الذي رافق ضمير الغائب(الهاء) من بداية النطق بالصامت وصولاً حتّى انتهائه، وإشباع النطق به حتّى استحال إلى صائت أو ياء مدّية مشبعة أكثر جرساً وأوضح سمعاً وأبقى أثراً من حالتها الأوّلى، فكأنّنا بمدّنا للكسر وإحالتها إلى صوت الياء الممدودة حوّلنا الجزء إلى الكلّ والناقص إلى التامّ كما لا يمكننا إنكار حاجتنا إلى هذه الصوائت القصيرة في نطقنا للصوامت لاستحالة

توالي الصوامت المسكنة، فكلاهما كالسَّدَاة واللُّحمة في نسج الكلام يحرّكها نول اللغوي الناطق، لما يتلاءم ومعانيه المقصودة وانفعالاته النفسية المتعددة، وإذا كانت الحركة تجنح بالحرف لها فالحركة فوق الحرف، كما وصفها هنري فليش؛(ماهي إلاّ إشارة لأوائل حروف المدّ التالية المؤذنة بتمامها)[٤٩].

فهذه الظاهرة ليست وليدة هذا العصر، وإن عُرفت عند المحدثين بالـ(التوافق الحركي)(Vowel harmony)، إلا إنّها من سمات الاختلاف بين لغات ولهجات القبائل العربية التي تناولها علماء اللغة القدماء بالدرس والتمحيص، والتي ذكرها سيبويه في(كتابه) ذاكراً ميل القبائل الحضرية إلى الإشباع ومدّ صوت الحركة وإحالته إلى حرف مدّ، وإعطاء الأصوات حقّها في النطق والتروي وميل القبائل البدوية إلى الإسراع واختلاس الحركة وتخفيفها، كما في (ربهي و عليهي و إنهو) بعد إشباع الكسرة وإحالتها إلى ياء، وإشباع الضمة وإحالتها إلى واو، وليس هذا كلّ ما في الأمر! ولا يتوقّف عند هذا الحدّ فقط ! فبعد استعراض هذه العلوم المقننة، أخبرك أنّ لهذا الأمر أبعاداً أخرى ووجوهاً ودلالاتٍ، فلم يكن ورود كلمة(ربه) الحاوية على الهاء المكسورة شيئاً عادياً أو اعتباطياً، بل هو أمر ينّم عن قصد وحنكة، فلو حاولنا استبدالها بكلمة أخرى كلفظة(الله)_ وإن بدت للوهلة الأولى موافقة للآية_ إلاّ أنّنا بهذه الكلمة المستبدلة قد نسفنا بناء الآية نسقاً ودّلالة وإيقاعاً، فما هذه الآية إلاّ نفساً من أنفاس تلك القصة الأولى للبشرية التي تدرجّت بين الخلق والتعليم والإسكان فالتحذير والإغراء والاختبار، ثم الخطأ والندم والتوبة، فبعد خوض آدم معركة الإغراء والتضليل التي خرج منها خاسراً متحمّلاً تبعات تلك الرغبة مبعداً عن جنّة قربه من الله، وقد أضحت روحه تئنّ ندماً على ما اقترف، جاءت هذه الآية درسا تربوياً مُعلّمه ذلك السيّد المربّي للمخلوق البشري الأوّل؛ ليمتدّ هذا الدرس حتّى آخر البشرية، التي ما تبرح أنْ تمرّ بكلّ مراحل تلك القصة مراراً وتكراراً، فكانت كلمة (رب) التي بمعنى السيد والمربّي، مضافة إلى هاء الغائب المشعرة بالبعد عن الخالق بسبّب المخالفة أولى وأجدر بموقعها هذا من لفظة(الله) التي تعني المعبود، فهي أرقّ جرساً والطف حسّاً وأبعد مدى من اللفظة المستحدثة المتّصفة بالفخامة والخشونة غير المشعرة بالبعد، فكانت تلك الهاء المكسورة المشعرة بالاستكانة المتسلّلة برقّتها الممدودة تعكس أجراس تلك الروح الكسيرة وأصداء

ذلك الندم ورنَّمه.[٥٠]، ولو مثلنا لكل ما تقدم ذكره من صفات الحروف وترددها في السور السبع بالجدول التالي لوجدنا أنْ:

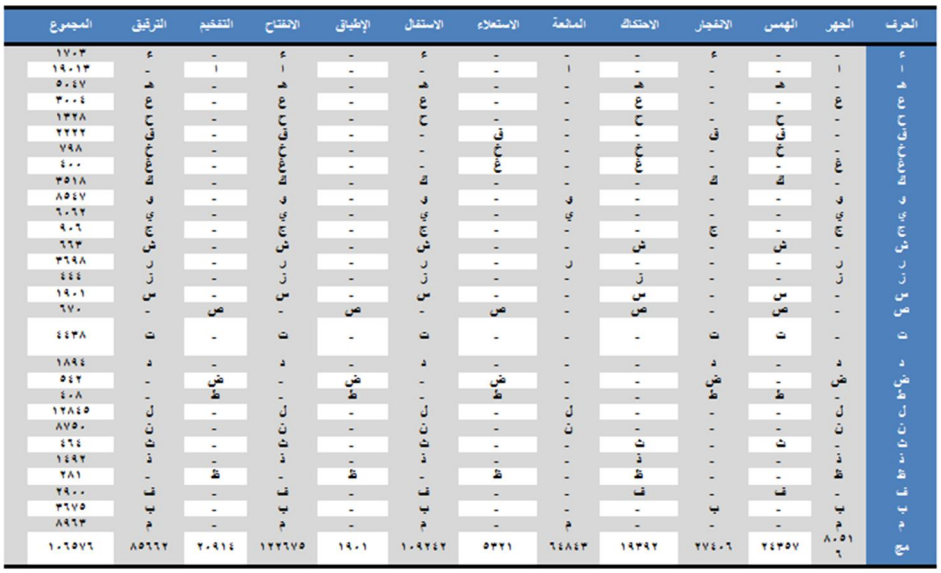

الحرف	الجهر	الهمس	الانفجار	الاحتكاك	المائعة	الاستعلاء	الاستفال	الإطباق	الانفتاح	التفخيم	الترقيق	المجموع
ء ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي	٨٠٥١٦	٢٤٣٥٧	٢٧٤٠٦	١٩٣٩٢	٦٤٨٤٣	٥٣٢١	١٠٩٢٤٢	١٩٠١	١٢٢٦٧٥	٢٠٩١٤	٨٥٦٦٢	١٠٦٥٧٦
النسبة	٧٥,٥٤٧٩٦	٢٢,٨٥٤١١	٢٥,٧١٤٩٨	١٨,١٩٥٤٦	٦٠,٨٤٢٠٢	٤,٩٩٢٦٨	١٠٢,٥٠١٥	١,٧٨٣٧	١١٥,١٠٩٢٥	١٩,٦٢٣٥٥	٨٠,٣٧٦٤٤	ـــ

واستناداً إلى هذه الإحصائية الصوتية للسور السبع الطوال يتبيّن أنّ الأصوات المجهورة تزيد على الأصوات المهموسة بنسبة (٥٦,١٥٪)، ممّا يفسّر لنا قوّة الجرس الموسيقي والنغم الحادّ الذي تتميز به هذه السور، وما تتركه من أثر في مسمع ونفس المتلقّي، ونجد أيضاً زيادة نسبة الأصوات الانفجارية على الأصوات الاحتكاكية بنسبة (٨,١٤٪)، وزيادة الأصوات المائعة على كليهما معاً بنسبة (١٨,٤٥٪)، ممّا يحقّ لها القول الفصل من بينهما، وهذا يفسّر لنا تنّوع الخطاب القرآني وطرقه في السور السبع؛ فمرّة من خلال الكلمات، وأخرى من خلال المشاهد المعبّرة التي تتضمّن التدرّج بين التهديد والوعيد والزجر والنهي، وهذا ما اشتركت به الأصوات الانفجارية والمائعة وبعض الأصوات الاحتكاكية، وبين الاستفهام والإنكار والنداء والترغيب والتشويق والتبشير والتأمل والترنيم، وهذا ما اشتركت فيه الأصوات الاحتكاكية والمائعة و بعض الأصوات الانفجارية ممّا يضفي جواً إيقاعياً بُني على السلّم الموسيقي المتأرجح بين النغمات الهابطة والصاعدة، ويتّضح لنا أيضاً أنّ زيادة حروف الاستفال على الاستعلاء بنسبة

(١٠,٣٩٪)، والمرقّقة على المفخمة بنسبة(٦٤,٦٨ ٪)، فحالة الانتقال بين إيقاعات الحروف المستعلية والمفخمة إلى المستفلة والمرقّقة تؤدي دوراً محورياً وحاسماً؛ عقلياً كان، أم عاطفيّاً فطرياً، فتغلّب هذه النسبة يوصلنا إلى قرّار النغمة الصوتية الموسيقية المتّسمة بالهدوء والرزانة والوضوح، وهذا ما اتّصفت به جلّ آيات السبع الطوال. أمّا زيادة الحروف المنفتحة على المطبقة بنسبة (١٢,٧٧٪)، فقد أضفى سمة الامتداد والاستمرارية الزمنية للنص القرآني وخاصّة في الجانب التشريعي والعقائدي منه.

النتيجة:

ونستنتج مّما تقدمّ من عرض إيقاعات أصوات الحروف وإيحاءاتها أنّ كثرة التنوع الإيقاعي والتشكيل الصوتي وتعدّد أنماطه جعل من هذه السور تربة خصبة وبيئة مزدهرة تحفل بشتّى أنواع الدلالات الإيحائية والمعاني الذاتية، ما يجعلها تضجّ بالطاقة والحيوية والإبداع الخّلاق، وهذا ما نتلمسّه في الأصوات المجهورة والانفجارية المفخمة من جهة، والأصوات المهموسة والاحتكاكية المرقّقة من جهة أخرى؛ ما يجعلها لوحة ذات طابع فسيفسائي يجعل الناظر لها في حالة من التأمّل والتفكّر قبل الوصول إلى هدفها بسبّب ثرائها اللغوي والموسيقي والإيحائي الزاخر، وهوما تنماز به من نظيراتها من سور القرآن، ما يجعل السور السبع الطوال أبلج وأوضح في كشف المعنى والمطلب والوصول إلى الهدف المنشود، وأكثر إيحائية وتأكيداً بما يتناسب مع التنوّع الخطابي في السور السبع، من توحيد وتشريع واقتضاء وتنويه ووعد وعيد، كلّ بما يناسب السور المدنية أو المكية منها، فهذا التنوّع في الإيحاءات والأصوات يجعل من هذه السور بيئة ثريّة للباحثين، تبعاً للتنوّع الجمالي والصوتي والإيحائي واختلاف أنماطها وأهدافها، وكان للحروف الرنينية الحضور الأكبر من بين الأحرف الأخرى، حتّى كانت كالفارس في صولاتها وجولاتها في الميدان بفرض سطوتها، وكطائر محلّق في الفضاءات الإيحائية والمعنوية والمادّية والروحية معاً فلها وقع موسيقي ونغمي ينبثق من أعماق الروح، ليخرج مشبعاً بالنشاط والحيويةِ مكلّلاً بالانفعالات النفسية المختلفة من فرح وحزن وأنين ورنين، لينفذ ويستقرّ في خلجات الروح، فهي الأكثر تمادّا وحماسة وقدرة في تبيان دلالاتها الإيحائية، كما ويتبيّن لنا بعد استنطاق هذه الجواهر القرآنية المتمثّلة بآياته الكريمة. أنّ صفات هذه الأصوات قد رسمت صورها وجسدت شخصيتها ومثّلت

إيحاءها الخاصّ الدالّ على المعنى الذي يمتاز به ذلك الصوت دوناً عن غيره، ليأت كلّ إيحاء من هذه الإيحاءات مؤتلفاً متناسباً ومتّسقاً مع الجرس الموسيقي الخاصّ بالحرف، ممّا يثبت حيويّتها وثراء مكنوناتها الجمالية والبنائية الداخلية.

THE RESULTS:

As a result of the what has been presented of the letter's sounds and revelations, we would conclude to say that the abundance of diversity, the fluidity, the formation of sound, and the multiplicity of its patterns, made these verses fertile and ecological ground to full of all kinds of revelatory connotations and self-meanings the reason that make them come with energy and creativity A case that we can touch in in the loud voices and the explosive sound , in one hand, and with whispers and friction voices, on the other hand. As a result , we can get multiple picture with elusive mood and analysis . the picture that attracts any one to thing thoroughly before giving any interpretation and this is due to its linguistic , musical , inspirational richness, and this is what make them distinctive one . Thus , we can argue that seven long verses have a clear decipher the meaning an reach to the appropriate destination . Furthermore , it is noted that , they are more animated and affirms in proportion to the diversity of discourse , from monotheism, legislation, illumination, commendation, promise, and promises, each according to what is appropriate for each one of them whether as Makka or Madina . However , this diversity in the liveliness and the voices supplies these verses with rich environment for the researcher in according to the diversity of beauty, sound, and motifs, and the different patterns and objectives.

As well as , the ringing letters have a greater presence than the other letters, even as the knight in field that dominate his authority or as a bird that fly in the living and moral and spirit spaces for it has a seasonal passion and a melody that we emit from the depths of the soul. It does not come out saturated with activity and vitality, it is not accompanied by various psychological emotions, such as joy and sadness, and that the light and ringing, we will not implement . It will continue in the recesses of the soul, as it is the most prolonged, enthusiastic, and prolific in the discernment of its vital signs, .As we discovered after interrogating these flexible gems represented by his generous verse. The qualities of these sounds embodied represented in its own inspirational meaning that distinguished with those sound .

Thus , each combination of these sounds has diversity that give them vitality and the richness of its aesthetic and constructive components interior.

هوامش البحث

(١) الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم: **بيان إعجاز القرآن**؛ ط٣، دار المعارف، مصر(١٩٥٥)؛ ص٢٧ .

(٢)جبل، محمد حسن: **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن**؛ مكتبة الآداب، القاهرة(٢٠١٠)؛ ص٣٦٠ .

(٣)ابن جني، أبي الفتح عثمان: **الخصائص**؛ ط٢، دار الهدى للطباعة والنشر-بيروت (١٩٧١)؛ ص٣٠ .

(٤)علي، محمد محمد يونس: **المعنى وظلّال المعنى**؛ ط٢، دار اويا للطباعة والنشر، طرابلس(٢٠٠٧)؛ ص١٨٦ .

(٥)ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري: **لسان العرب**؛ دار صادر، بيروت (١٩٦٨)؛ ج ٥٥/ص٤٨٩٧ .

(٦) ابن سيده ابو الحسن علي بن إسماعيل؛ المخصص؛ دار الكتب؛ بيروت(١٩٩٦)؛ ص١٠ .

(٧)الفارابي، محمد بن محمد بن طرخان: **الموسيقي الكبير**؛ دار الكتاب العربي، القاهرة(١٨٨٤)؛ ص٣٣٥ .

(٨)عبد الرحمن تبرماسين: البنية الإيقاعية للقصيدة العربية المعاصرة؛ دار الفجر، الجزائر(٢٠٠٣)؛ص ٩٠.

(٩)حساني أحمد: الإيقاع وعلاقته بالدلالة في الشعر الجاهلي؛ جامعة الجزائر، الجزائر(٢٠٠٥)؛ص ١٦ .

(١٠)ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري: **لسان العرب**؛ دار صادر، بيروت (١٩٦٨)؛ج/ص٣٠٢ .

(١١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **العين**؛ دار الرشيد للنشر، العراق(١٩٦٧)؛ ج٢/ص٢٧٥ .

(١٢)ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: **جمهرة اللغة**؛ دار العلم للملاين، بيروت (١٩٨٧)؛ ص٣٨٩ .

(١٣) أبن جني- أبو الفتح عثمان- سر صناعة الإعراب؛ مطبعة الحلبي-مصر(١٣٧٤هـ)؛ ص١-٦ .

(١٤)بشر، كمال: **علم الأصوات**؛ دار غريب، القاهرة(٢٠٠٠)؛ ص٣٢ .

(١٥)أنيس، إبراهيم: **الأصوات اللغوية**؛ مكتبة نهضة مصر، مصر(١٩٧٥)؛ ص٥ .

(١٦)الصغير، محمد حسين علي: **الصوت اللغوي في القرآن**؛ دار المؤرخ العربي، بيروت(٢٠٠٠)؛ ص١١٩ .

(١٧)جاكبسون، رومان: **ست محاضرات في الصوت والمعنى**؛ ترجمة علي حاكم صالح، دار الرافدين، بغداد(١٩٨٨)؛ ص١٤٧ .

(١٨)سيد قطب- محمد-في ظلّال القرآن؛ ط٢،دار الشروق- مصر(١٩٧٢)؛ ص١١٠ .

(١٩)المصدر نفسه؛ ص٥٥ .

(٢٠)الطبرسي- الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن؛ دار العلوم للتحقيق والنشر، لبنان(٢٠٠٥)؛ج٢/ص١١٢ .

(٢١)جبل، محمد حسن: **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن**؛ مكتبة الآداب، القاهرة(٢٠١٠)؛ ص٥٨٠ .

(٢٢)الآلوسي، محمد شكري: **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني**؛ الطبعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت؛ ج٩/ص ١٣٨ .

(٢٣)المصدر نفسه؛ج٩/ص١٣٩ .

(٢٤)أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي التوحيدي: **تفسير البحر المحيط**؛ دار الفكر، بيروت (١٤٢٠)؛ج٥/ص ٢٤٦.

(٢٥)الزمخشري، جار الله بن محمد الخوارزمي: **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**؛ ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت(٢٠٠٩)،ص٤٦٥.

(٢٦)الرازي- فخر الدين بن ضياء الدين-**تفسير الفخر الرازي المعروف بالتفسير الكبير أو مفاتح الغيب**؛ دار الفكر للطباعة والنشر-عمان(١٩٨١)؛ج٥/ص ٥١.

(٢٧)سيد قطب- محمد-في ظلّال القرآن؛ ط٢،دار الشروق- مصر(١٩٧٢)؛ص١٦٢ .

(٢٨)عمر، أحمد مختار: **دراسة الصوت اللغوي**؛ عالم الكتب، القاهرة(١٩٩٧)؛ص ١٢٤ .

(٢٩)ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري: **لسان العرب**؛ دار صادر، بيروت (١٩٦٨)؛ج١/ص٢٢٥.

(٣٠) كشك-عبد الحميد-في رحاب التفسير-المكتب المصري الحديث(١٩٨١)؛ج١/ص١٤٠ .

(٣١)عكاشة، محمود: **أصوات اللغة**؛ ط٢، مكتبة دار المعرفة، القاهرة(٢٠٠٧)؛ص ٧٠.

(٣٢)عباس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**؛ مكتبة اتحاد الكتاب العرب، دمشق(١٩٨٢)؛ص ١٤٧.

(٣٣)ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري: **لسان العرب**؛ دار صادر، بيروت (١٩٦٨)؛ج٢/ص٥٦٣.

(٣٤)جبل، محمد حسن: **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن**؛ مكتبة الآداب، القاهرة(٢٠١٠)؛ص ١٦٢٢.

(٣٥)عكاشة، محمود: **أصوات اللغة**؛ ط٢، مكتبة دار المعرفة، القاهرة(٢٠٠٧)؛ص ٧٦ .

(٣٦)الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: **البرهان في علوم القرآن**؛ ط٤، المكتبة العصرية، بيروت(١٩٩٨)؛ص ١٨٥.

(٣٧)الصغير، محمد حسين علي: **الصوت اللغوي في القرآن**؛ دار المؤرخ العربي، بيروت(٢٠٠٠)؛ص ١٨٢.

(٣٨)العلايلي، أسعد أحمد علي: **تهذيب المقدمة اللغوية**؛ ط٣، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق (١٩٨٥)؛ص٦٥.

(٣٩)فلش- هنري: **التفكير الصوتي عند العرب**؛ تعريب عبد الصبور شاهين، القاهرة(١٩٩٨)؛ص٢٧.

(٤٠)عمر، أحمد مختار: **دراسة الصوت اللغوي**؛ عالم الكتب، القاهرة(١٩٩٧)؛ص٢٢٥ .

(٤١)الرماني، علي بن عيسى بن علي: **النكت في إعجاز القرآن**؛ ط٣، دار المعارف، مصر(١٩٧٦)؛ص٢١.

(٤٢)داود، محمد محمد: **الصوائت والمعنى في اللغة العربية**؛ دار غريب، القاهرة؛ ص٦٤.

(٤٣) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري: **لسان العرب**؛ دار صادر، بيروت (١٩٦٨)؛ج١/ص ٧٣٩.

(٤٤)ابن الطحان، عبد العزيز بن علي السماتي: **مخارج الحروف وصفاتها**؛ رسائل من التراث، جدة (١٩٩١)؛ص ٨٦.

(٤٥)الراغب، الأصبهاني أبو القاسم الحسين بن محمد: **مفردات الفاظ القرآن**؛ ط٤، دار القلم، دمشق(٢٠٠٩)؛ص١٢٣.

(٤٦) المازني- أبو عمر بن العلاء-الادغام الكبير في القرآن الكريم؛ منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق؛ الكويت(٢٠٠٩)؛ص ٢١.

(٤٧) الرازي- فخر الدين بن ضياء الدين-**تفسير الفخر الرازي المعروف بالتفسير الكبير أو مفاتح الغيب**؛ دار الفكر للطباعة والنشر-عمان(١٩٨١)؛ج٨/ص٢٢٩.

(٤٨) مالبرج، برتيل: **علم الأصوات**؛ مكتبة الشباب، القاهرة(١٩٨٤)؛ص ١٥٧.

(٤٩) فلش- هنري-التفكير الصوتي عند العرب-تعريب عبد الصبور شاهين، القاهرة(١٩٩٨)؛ص٣٠.

(٥٠) مالبرج، برتيل: **علم الأصوات**؛ مكتبة الشباب، القاهرة(١٩٨٤)؛ص١٢٢.

قائمة المصادر والمراجع

- قرآن الكريم.
- الآلوسي، محمد شكري: **روح المعاني**؛ الطبعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الارسوزي، زكي: **العبقرية العربية في لسانها**؛ دار اليقظة العربية، دمشق (١٩٦٢).
- أنيس، إبراهيم: **موسيقى الشعر**؛ ط٢، مكتبة الانجلو المصرية- القاهرة(١٩٥٢).
- باي، ماريو: **أسس علم اللغة**؛ ط٨، ترجمة أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة (١٩٩٨).
- بركة، بسام: **علم الاصوات العام أصوات اللغة العربية**؛ ط٢، مركز الإنماء، بيروت(٢٠٠٠).
- بشر، كمال: **علم الأصوات**: دار غريب، القاهرة(٢٠٠٠).
- جاكبسون، رومان: **ست محاضرات في الصوت والمعنى**؛ ترجمة علي حاكم صالح، دار الرافدين، بغداد(١٩٨٨).
- جبل، محمد حسن: **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن**؛ مكتبة الآداب، القاهرة(٢٠١٠).
- أبن جني- أبو الفتح عثمان: **سر صناعة الإعراب**؛ مطبعة الحلبي-مصر(١٣٧٤هـ).
- ابن جني، أبي الفتح عثمان: **الخصائص**؛ ط٢، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت (١٩٧١).
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي التوحيدي: **تفسير البحر المحيط**؛ دار الفكر، بيروت (١٤٢٠).

- حساني أحمد: **الإيقاع وعلاقته بالدلالة في الشعر الجاهلي**؛ جامعة الجزائر، الجزائر(٢٠٠٥).
- حسين صلاح الدين: **التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي**؛ دمشق(٢٠٠٩).
- الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم: **بيان إعجاز القرآن**؛ ط٣، دار المعارف، مصر(١٩٥٥)
- داود، محمد محمد: **الصوائت والمعنى في اللغة العربية**؛ دار غريب، القاهرة.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: **جمهرة اللغة**؛ دار العلم للملاين، بيروت (١٩٨٧)
- الرازي- فخر الدين بن ضياء الدين: **تفسير الفخر الرازي المعروف بالتفسير الكبير أو مفاتح الغيب**؛ دار الفكر للطباعة والنشر-عمان(١٩٨١).
- الراغب، الأصبهاني أبو القاسم الحسين بن محمد: **مفردات الفاظ القرآن**؛ ط٤، دار القلم، دمشق(٢٠٠٩).
- الرماني، علي بن عيسى بن علي: **النكت في إعجاز القرآن**؛ ط٣، دار المعارف، مصر(١٩٧٦).
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: **البرهان في علوم القرآن**؛ ط٤، المكتبة العصرية، بيروت(١٩٩٨).
- الزمخشري، جار الله بن محمد الخوارزمي: **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**؛ ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت(٢٠٠٩).
- سيد قطب- محمد: **في ظلّال القرآن**؛ ط٢،دار الشروق- مصر(١٩٧٢).
- ابن سيده ابو الحسن علي بن إسماعيل: **المخصص**؛ دار الكتب؛ بيروت(١٩٩٦)
- الصغير، محمد حسين علي: **الصوت اللغوي في القرآن**؛ دار المؤرخ العربي، بيروت(٢٠٠٠).
- الصيغ، عبد العزيز سعيد: **المصطلح الصوتي في الدراسات ألعربية**؛ دار الفكر، دمشق(٢٠٠٧).

- الطبرسي- الفضل بن الحسن: **مجمع البيان في تفسير القرآن**؛ دار العلوم للتحقيق والنشر، لبنان(٢٠٠٥).
- ابن الطحان، عبد العزيز بن علي السماتي: **مخارج الحروف وصفاتها**؛ رسائل من التراث، جدة (١٩٩١)
- عباس، حسن: **خصائص الحروف العربية ومعانيها**؛ مكتبة اتحاد الكتاب العرب، دمشق(١٩٨٢).
- عبد الرحمن تبرماسين: البنية الإيقاعية للقصيدة العربية المعاصرة؛ دار الفجر، الجزائر(٢٠٠٣).
- عكاشة، محمود: **أصوات اللغة**؛ ط٢، مكتبة دار المعرفة، القاهرة(٢٠٠٧).
- العلايلي، أسعد أحمد علي: **تهذيب المقدمة اللغوية**؛ ط٣، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق (١٩٨٥).
- علي، محمد محمد يونس: **المعنى وظلّال المعنى**؛ ط٢، دار اويا للطباعة والنشر، طرابلس(٢٠٠٧).
- عمر، أحمد مختار: **دراسة الصوت اللغوي**؛ عالم الكتب، القاهرة(١٩٩٧).
- الفارابي، محمد بن محمد بن طرخان: **الموسيقي الكبير**؛ دار الكتاب العربي، القاهرة(١٨٨٤).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **العين**؛ دار الرشيد للنشر، العراق(١٩٦٧).
- فلش، هنري: **ألعربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي**؛ ترجمة عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر(١٩٩٧).
- كريم، محمد رياض: **المقتضب في لهجات العرب**؛ جامعة الازهر، القاهرة(١٩٩٦).
- كشك-عبد الحميد-في رحاب التفسير-المكتب المصري الحديث(١٩٨١).
- المازني- أبو عمر بن العلاء-الادغام الكبير في القرآن الكريم؛ منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق؛ الكويت(٢٠٠٩).
- مالبرج، برتيل: **علم الأصوات**؛ مكتبة الشباب، القاهرة(١٩٨٤).

- المطلبي، غالب فاضل: **في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدّ ألعربية**، ط٣، دار الشؤون الثقافية، العراق(١٩٨٤).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري: **لسان العرب**؛ دار صادر، بيروت (١٩٦٨)
- النجار، أفنان عبد الفتاح: **إشباع الحركات في ألعربية بين الممارسة والتعليل**؛ الاهلية للنشر والتوزيع ،الاردن(٢٠٠٨)
- نور الدين، عصام: **علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا**؛ ط٢؛ دار المفكر اللبناني-لبنان(١٩٩٢)
- النوري، محمد جواد: **علم الأصوات ألعربية**، جامعة القدس، عمان (١٩٩٦).